مصادر السيرة النبوية

ومقدمة في تدوين السيرة

حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظة

الطبعَة الأولى ١٤٣١هـ

رقم الإيداع: ١٠٧٤٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي : I ـ 8996 ـ 17 ـ 977

ت :٠١٤٤٤٢١٥٦٤
dar-alnadwa10@yahoo.com

ت :٠١٠٢٩١٤٨٤٧
algabarty10@yahoo.com

العنوان : شارع البيطار أمام مسجد عليش خلف الجامع الأزهر - القاهرة

مصادر السيرة النبوية

ومقدمة في تدوين السيرة

تأليف الدكتور

محمد يسري سلامة

تقديم الأستاذ الدكتور

بشار عواد معروف

دار البداية للنشر والتوزيع

دار الجنان للنشر والتوزيع

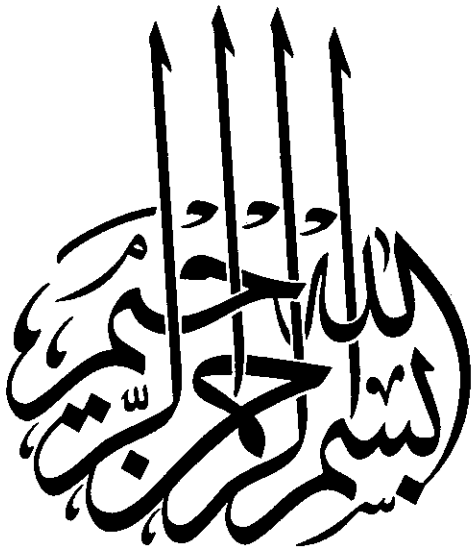
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي هَدَانا لهذا وما كُنا لنهتديَ لولا أن هَدَانا اللهُ، الحمدُ لله نَحْمَدُه ونَسْتعينُهُ ونَسْتغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلهًا صَمَدًا، وأشهدُ أنَّ سَيِّدَنا وإمامَنَا وقُدْوَتَنا وأُسوتَنا وشَفيعَنَا وحَبِيبنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، بعثَهُ اللهُ بالهُدَى ودينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فقد عرفتُ الأستاذ الدكتور محمد يُسري عن قربٍ، وازدادت معرفتي به وازدانت بعد وقوفي علي تحقيقاتِه المُتْقنة، وأبحاثه النافعة،

وتآليفه الماتِعةِ الدَّالةِ على أصالةٍ في البحث، ودقةٍ في التزام المنهج القيم، وحرصٍ قلَّ نظيره على إتقان العَمَل والتأهُّب له، وفكرٍ غَوّاص في عَمِيقات الأمور، وفَرَاسةٍ في تناول عَوِيصاتِ القضايا بإفصاحٍ واتضاحٍ، مع نجابةِ الهدفِ المتمثل بالدِّفاع عن بَيْضَةِ الإسلام، وردِّ غائلة المُفْترين عليه.

وهو إنما ينطلق في ذلك من أرومةٍ زاكية وعُنْصرٍ شريف، من طِيْبِ الجُرْثُومةِ وعَرَاقة الفَصِيلة المتمثلة بوالده الأستاذ الدكتور يُسْري محمد سَلامة - رحمه الله- الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووالدته شاعرة الاسكندرية الأستاذة عزيزة عبد الوهاب كاطو، وهما اللَّذان حَبَّبا إليه العربية والتراث، عمادَ حضارة هذه الأمة، ودفقَه الذي لا ينضب، ثم هيأه الله تعالى ليتوَّج بالتَّربية الإسلامية السَّلَفية الأصيلة على علامة الدِّيار المصرية صديقنا الإمام المُقَدّم الدكتور محمد إسماعيل المقدَّم الرَّحيبِ الباع، العالي الصِّفات، البعيدِ الصيت في تربية أجيالٍ من الشَّباب على منهج السَّلَف المعتدل البعيد عن الغلوِّ والتَّطرف والتفريط، بما وهَبهُ اللهُ ومَنَّ عليه من أخلاق سَنِيّة، وأثواب نَقِيَّة، ونَفْسٍ أبيّة، ولسانٍ فصيح، وإيمانٍ راسخ بعلوِّ الإسلام وظهوره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه المشركون، وتآليفَ ماتعةً رزقَهُ اللهُ فيها سعادةً قَلّما تحققت لغيره من الكُتّاب، فضلًا عن عُلُوِّ الهِمَّة، والتَّبَصر بالفتن، ورعاية حرمة أهل العلم وصيانة أعراضهم، والتَّنَزُّه عن الوقيعة فيهم، فاهتدى به الشَّبابُ ورَشُدَ وأسرعَ إلى الإجابة، وأظهر كثيرٌ ممن تَعَثَّروا على يديه التوبةَ والإنابة، فأكثروا حَمْده،

وشكروا فِعْلَهُ، ونشروا فضلَهُ، وهو فَضْلُ الله يؤتيه من يشاء من عبادِه الصالحين.

والدكتور محمد يُسري من تلامذة الإمام المُقَدّم الخُلَّص؛ استنهجَ سبيلَهُ، وركب طريقَةُ واحتذاه، فاقتدى بمحاسنِه، وتحلَّى بأوصافِه الجميلة، وانحازَ إليه بكليته يطأ موضعَ قَدَمِه، ويأخذ بفَنِّهِ، ويهتدي بهديهِ سُلُوكًا وعِلْمًا.

ومن طريف الاتفاق أنَّ أولية الإمام المقدّم كانت في علم الطب حتى نالَ به الرُّتب العُليا، ولكنَّ إيمانَه العميق وتشوُّقه إلى نشر العقيدة الإسلامية الصَّحيحة، والدَّعوة إليها، والتَّصدي لتحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين أعلام الضلالة وأشياع الجهالة حدا به إلى تكريس جُلِّ حياته لهذا الأمر الجَلَل، فكان فيه بحقٍّ وصدقٍ الإمامَ المُقَدّم الذي بارَكَ الله له في سَعْيه فرُزِقَ كل تلكَ السعادة في تلامذته النُّجُب ومؤلفاته ودَعوته. وكذلك كان حال الدكتور محمد يُسري؛ فهو طبيبٌ متفوق وجدَ نفسَهُ في خِضَم هذا المُعْتَرَك الشريف حتى غَرِيَ به، وكَلِفَ بحُبِّه مع صحة النية، ونقاء الطويَّة، وطهارة العَقِيدة، فحقَّق من عُيون التُّراث جملةً، وألَّف فأكثر، مع استفراغ الطاقة واستنفاد الوسع في كل عملٍ تصدى له.

ولعل هذا الكتاب الذي يُسعدني تقديمه لأهل العلم من الدراسات الجادة التي قَلَّ نظيرها، فهو يُنبئ آثر ذي أثير عن مؤلَّفٍ آتاه الله بسطةً في العلم وذخيرةً منه، مع شحذ الهِمّة، وتصحيح العَزْم وثَبَات النية، فقد

نهض بأعبائه على ثقلها أتمَّ نهوض، ولم يدع له خَلّةً إلا سَدَّها، فجاءت شواهدُه ساطعةً، وبراهينه لائحة، ودعاويه موافقة.

ابتدأ الدكتور محمد يُسري كتابَهُ الماتع باستعراض غايته المرجوة من تأليف هذا الكتاب: أن يكون مقدمة للباحثين وطَلَبة العلم في التصوُّر العام لتاريخ تدوين السيرة النبوية، ومناهج أهل العلم في تصنيفها، والمصادر التي يُرجع إليها في معرفة تفصيلاتها ووقائعها وحوادثها، ودليلاً إلى الكتب المفردة التي صُنِّفت في السيرة، ومعرفة المطبوع منها والمخطوط والمفقود، وتوجيه النظر إلى كتب المتقدمين وتصانيفهم.

وبيّنَ منهجَهُ المتَّبع في بلوغِ هذه الغاية الجليلة، بذكر ما يمكن إحياؤه من تلكم المصنفات، وتقصي أنواع المصادر التي يمكن الاستعانة بها في هذا الشأن، وسبل التفتيش عنها وجمع نصوصها، وذكر أشهر المصنفات التي تؤدي هذه الغاية.

وحين قَضَى وطره من تتبع الدِّراسات السابقة وما أُنجز منها، تحوَّل إلى ذكر مظان نصوص السيرة في شتى أنواع المصادر، بعد أن قسم تلك المصادر تبعًا لموضوعاتها وأغراضها، ملتزمًا في ذلك ذكر المصدر: وبدأ بكتب التفسير، وثنَّى بكتب الحديث المسندة، ثم كتب العقيدة المسندة، فكتب دلائل النبوة والشمائل والخصائص، فكتب التواريخ والتراجم والرجال المُسندة، وعرَّجَ بعد ذلك على غير المسندة منها، ثم كتب الصحابة وفضائلهم. وتناول بعد كل هذا المخطوطات غير

المدروسة والمجهولةَ النسبة، ثم كتبَ السيرة المختصة مخطوطها ومطبوعها مرتبًا لها على حروف المعجم فذكر منها مئة وستة وتسعين كتابًا مُفردًا باللغة العربية من غير التطرق إلى كتب المعاصرين، وهو أمرٌ يدل على طول الباع واتساع المعرفة في هذا الشأن.

وختم الدكتور الباحث كتابَهُ النفيس بمطلبٍ قريب إلى نَفْسي وعقلي ومنهجي، تناول فيه مسألة الاختصاص وضرورة مُراعاتها، وأن الاختصاص كان أمرًا معروفًا معمولًا به عند المتقدمين فتُقْبَل رواياتهم في اختصاصاتهم وتُرفض في غيرها، فتؤخذ الأنساب من ابن الكلبي، والمغازي من الواقدي وأخبار الردة والفتوح من سيف بن عمر ونحوهم مع كونهم من المتروكين في رواية الحديث، ومن ثم خطورة ما أشيع من ضرورة تنقية المغازي والسير بناءً على منهج المحدثين في الجرح والتعديل من غير مراعاةٍ لهذا الأمر، مثل واضعي المؤلفات المسماة بالسير الصحيحة وصحيح السيرة ونحوها من التسميات.

وفَرْق بين الإفادة من منهج المحدثين في بيان صحيح الأخبار من سقيمها، وبين تطبيق أحكام المحدثين على المختصين بالعلوم الأخرى من غير مراعاةٍ لاختصاصاتهم، فكانت خاتمة مسكٍ لهذا الكتاب الذي كَثُرت محاسنُه، وجلَّت فضائلُه، وسَمَت معانيه.

وحُقَّ لمن يتقن عملَه أن ينوَّه بفضله ويُشكرَ على فعله، ويوشَّح بحلل الثناء، ويطوَّق بقلائد الشُّكر والدُّعاء، فذلك أقل ما يكافأ به على إحسانه العمل، وأدعى له إلى تجديد الأمل بإعادة الإفادة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه بدار هجرته عمان البلقاء في محرم سنة ١٤٣١هـ

أفقر العباد

بشار بن عواد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي كشفَ عنا الغُمَّة، وجَلا غَياهِبَ الظُّلْمَة، وأكْمَلَ الدِّينَ وأَتَمَّ علينا النعمَة، وأكْرَمَنا بخيرِ نبيٍّ فكُنَّا خيرَ أُمَّة، بما زكَّانا به وعَلَّمَنا من آيِ الكتابِ والحكمة؛

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

صلَّى الله على محمَّدٍ وعلى آلِه وأصحابِه الأعلامِ الأئمَّة، وأتباعِهم وأحزابِهم أولي الهِمَّةِ والمناقبِ الجَمَّة. أما بعد؛

فقد أَرَدتُ ابتداءً أنْ أُقَدِّمَ لهذا الكتابِ بمقدمةٍ فيها شيءٌ مِنْ ذكرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم وشمائلِه وخصائصِه، وما امْتَنَّ الربُّ عزَّ وجلَّ ببعثتِه ورسالتِه علينا وعلى الناس، فما لَبِثَ قلمي أنْ عَجِزَ وصَدّ، وتَمَلْمَلَ هَيبةً وارتَدّ، وذكَّرَني بما كان مِنِّي مِنَ استصغارِ أَفصَحِ أصحابِ

اليَرَاعَة، وأَبْلَغِ أهلِ البلاغةِ والبراعةِ إذا تَكَلَّمَ في هذا الباب، لِمَا كنتُ أراه مِنْ قصورِ عباراتِهم وتراكيبِهم عن استيفاءِ المقامِ حقَّه.

فما كنتُ أَنْعاه على الناسِ وجدتُ أكثرَ منه في نفسي، وما كنتُ أراه قصورًا عند الناسِ استحالَ لديَّ عجزًا وعِيًّا، فما زادَني ذلك إلا تعظيمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وتواضعًا له.

وقد قيل لحسَّان بن ثابت -رضي الله عنه- بعد موتِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: «ما بالُك لا تَرثي رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم، قال: لأنَّي أَسْتَقِلُّ كلَّ شيءٍ يَجيئُني فيه»[1].

وأنشد بعضُهم:

أرى كلَّ مدحٍ في النبيِّ مُقَصِّرا ... وإنْ بَالَغ المُثْني عليه وأكْثَرا
وإذا اللهُ أثنى بالذي هو أهلُهُ ... عليه، فما مِقدارُ ما يمدحُ الورى

وقيل: لم يُمدَح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمثل قول القائل:

وعلى تفنُّن واصفيه بوَصفِهِ ... يفنى الزمانُ وفيه ما لم يوصَفِ

وعلى كُلٍّ؛ فمَنْ كان مثلي فليس له مِنْ سببٍ يتعلَّقُ به بعد التوحيدِ إلا

---

(١) ذكره أبو العباس المبرّد في «الفاضل» ص١٠ . وقد رَثَاه بقصيدةٍ داليةٍ عصماءَ صحيحةِ النسبة، وصَحَّحَ نسبتَها أخي الفاضل البحَّاثة محمد شمس عُقاب في أطروحتِه «المراثي النبوية في أشعار الصحابة»، وضَعَّفَ ما نُسِبَ إليه سواها. فيكونُ سؤالُهم هذا مِنْ قبيلِ إغفال القلَّة، كما يُقالُ للذي يأكلُ الشيءَ القليل: لِمَ لا تأكل، مع كونِه يأكلُ شيئًا قليلا، لأنَّ الحكمَ للغَلَبة، والقليلُ قد لا يُعتَدُّ به.

المحبة، ومَنْ حالُه حالي فأرجى حديثٍ له: «أنت مع مَنْ أحْبَبت» وأنَّ المرءَ يُحْشَرُ مع مَنْ أحَبَّ، فلم يَسَعْني إلا أنْ أضرِبَ بسهمٍ ضئيلٍ مع الذين تَصَدَّوا للحديثِ عن سيرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم، كلٌّ في فَنِّه، وإنْ كان ذلك مني تطفُّلا وتَسَوُّرًا، فلا بأس، ولعلَّ ما سَطَرتُ لا يخلو مِنْ فائدةٍ، ويكفيني أني دخلتُ في زمرةِ خُدَّامِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وسيرتِه العَطِرَة، أرجو.

* * *

ولا يخفى أنَّ مِنْ أَوْلى ما يشتغلُ به مَنْ شَدَا طرفًا من العلم، ونهضَ إلى طلبِه وتحصيلِه: الاشتغالَ بسيرةِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، والعنايةَ بها جمعًا وقراءةً، وروايةً ودرايةً. وكيف لا يكونُ ذلك؛ والسيرةُ حجرُ الزاويةِ الذي يَرْتَكِزُ عليه التاريخُ الإسلاميُّ كُلُّه، والمدخلُ إليه، إضافةً إلى ضرورتِها البالغةِ في دراسةِ التفسيرِ، والحديثِ، والفقهِ، وغيرِها مِنْ علومِ الإسلام.

ولتِلْكُمُ العِلَّة، أردتُ لهذا الكتابِ أنْ يكونَ مُقَدِّمةً للباحثين وطلبةِ العلمِ في التصوِّرِ العامِّ لتاريخِ تدوينِ السيرةِ النبويةِ، ومناهجِ أهلِ العلمِ في تصنيفِها، والمصادرِ التي يُرجَعُ إليها في معرفةِ تفصيلاتِها ووقائِعِها وحوادِثِها، ودليلًا إلى الكتبِ المُفرَدَةِ التي صُنِّفَت في السيرة النبوية، ومعرفةِ المطبوعِ منها والمخطوطِ والمفقود، وقد قيل قديمًا: معرفةُ الكتب نصفُ العلم.

ومِنَ الأمورِ التي نراها ونَشْهَدُها: ما يُعانيه بعضُ طلبةِ العلمِ مِنَ

القُصورِ الواضحِ في تصوُّرِ المسائلِ تصوُّرًا كُلِّيًّا، والتأريخِ للعلومِ تأريخًا صحيحًا، ومعرفةِ الكتبِ والمطبوعات، والمخطوطاتِ وفهارسها، ومصادرِ البحثِ والدراسة، حتى كادت الديارُ أنْ تخلوَ ممن يجيدُ ذلك إجادةً تُسقِطُ الحَرَجَ، وترفعُ واجبَ الكفاية.

ومِنْ أَعْظَمِ العيبِ تركُ الكلامِ في هذه الأبوابِ للمستشرقين وأفراخِهم، أو أنْ يَقْتَصِرَ الخوضُ فيها على الباحثين في رسائلِهم الجامعيَّةِ التي قد لا ترى النورَ خارجَ أسوارِ الجامعة، هذا إذا خَلَت مِنَ العيبِ والعَوَارِ أصلًا.

ومُرادي الآخَرُ مِنْ هذا الكتاب: توجيهُ النظرِ إلى كتبِ المتقدِّمين وتصانيفِهم، وما فُقِدَ، أو طُوِيَ، أو خَفِيَ علينا مِما صَنَّفوه في علمِ السِّيَر والمَغَازي.

وذلك أنه قد أدَّى انتشارُ الجمعِ والتأليفِ في بلادِ الإسلامِ، والتوسُّعُ في ذلك إلى نوعٍ مِنَ الإهمالِ لمصنَّفات السابقين، والانشغالِ باللاحقِ عن السابق، والاعتمادِ على تآليفِ المتأخِّرين مع نزولِ درجتِها في الغالبِ عن كتبِ السَّلَفِ المُتقَدِّمين مِنْ حيثُ المنهجُ والقيمةُ العلميَّة، وهذا يجري في كلِّ بابٍ مِنْ أبوابِ العلم.

وذكرتُ ما يمكن إحياؤه مِنْ تلك المصنَّفات، وتَقَصَّيتُ أنواعَ المصادرِ التي يمكن الاستعانةُ بها في هذا الشأن، وأوضَحتُ السبيلَ إلى التفتيشِ عنها وجَمْعِ نصوصِها، وهو بابٌ واسعٌ جليلٌ إذا انتَبَه إليه المتميِّزون مِنْ طلبةِ العلمِ والحديثِ واشتَغَلوا به، وهو حقيقٌ بما يُبذَلُ فيه

من وقتٍ وجهد.

وذَكَرتُ تحت كلِّ نوعٍ من أنواعِ المصادرِ أشهرَ المُصَنَّفاتِ التي يمكن الاستعانةُ بها في البحث عن مرويَّات السيرة، ونصوصِ الكتبِ المفقودة، واقْتَصَرتُ في ذلك على ما هو موجودٌ بين أيدينا اليومَ مطبوعًا كان أو مخطوطًا، ولم أتعرَّضْ للمفقود؛ لأنَّ هذا يطولُ حصرُه جدًّا، ولا يُستفادُ منه في البحثِ والجمع.

وأتْبَعتُ ذلك بمَسْرَدٍ لمصنَّفاتِ السيرة المُفْرَدَة، المطبوعةِ والمخطوطةِ والمفقودةِ جميعًا، مع كلامٍ يسيرٍ في نقدِ ما يستأهلُ النقدَ منها، وإلماعاتٍ في الكشفِ عن مضامينِها ومادَّتِها، ومناهجِ واضعيها في تأليفِها.

ولا أدَّعي في كلِّ هذا أني بلغتُ في البابِ الغاية، ولا ذَكَرتُ ما فيه كفاية، ولا زالَ المجالُ غَضًّا يحتملُ الزيادة، ويَستَدعي الإضافةَ والإفادة، وقد قال بعضُ الفضلاء، وهو الشيخ أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كُبْرى زاده[1]: «وإيَّاك ثم إيَّاكَ أن تَظُنَّ -وبعضُ الظَّنِّ إثم- أنَّك حَصَّلْتَ مِنْ هذا العلمِ قَدْرًا لا مَزيدَ عليه، حتى تَنْتَصِبَ لأنْ يرجعَ الكلُّ إليك، فتقعدَ مُتَّكِئًا على أريكةِ العُجْب، وتَسْتَلقيَ على كَتِفَي الفراغ، وتَمُدَّ على بِسَاطِ الكسلِ رجلَيك، وتَعُدَّ نفسَك مِنْ جهابِذَةِ الفُضَلاء، وتحسبَ نفسَك مِنْ دَهْماءِ العلماء، وتَظُنَّ أنَّك أحْرَزْتَ

---

(١) في «مفتاح السعادة» (١/ ٤).

الفضائلَ بشَطْرَيها، ومَلَكْتَ الكمالاتِ بقُطْرَيها، وفُزتَ مِنْ ماريَّةَ بقُرْطَيها، وتقول: ها أنا بَرَّزْتُ على لِداتي، وتَفَرَّغْتُ عن تكميلِ ذاتي، فيَهُبَّ في دماغِك أعاصيرُ حبِّ الرياسة، وتَهْتاجَ لتربيةِ أشياعِك إلى تَقَلُّدِ السياسة. فهَيهاتَ هَيهاتَ ما خَطَرَ ببالِك، وهَجَسَ في خيالِك. إنَّ هذا طيشٌ يوجِبُ الحِرمان، بل همْهَمَةُ الحُسبان، ووسوسةُ الشيطان، يَتَراءى منها مَخَايلُ الزُّور، ويَتَدَسَّسُ فيها حبائلُ الغرور».

* * *

وجمعُ أسماءِ الكتبِ المصَنَّفةِ في علمٍ مِنَ العلومِ مما اشتَغَلَ به السلَّفُ مِنْ علماءِ الأُمَّة. وكان مِنْ عادتِهم تقييدُ أسماء الكتبِ التي اطَّلَعوا عليها وعايَنوها، أو قَرؤوها على مشايخِهم وحَمَلوها عنهم بأسانيدَ موصولةٍ إلى أصحابِها. ثم صارَ هذا فَنًّا مِنْ فنونِ التصنيفِ قائمًا بذاتِه، وغَرَضًا مستقلا مِنْ أغراضِ التأليفِ أُفْرِدَت له كتبٌ مخصوصة، فيما عُرِفَ بالفَهَارسِ، أو الأثْباتِ، أو البَرَامِجِ في اصطلاح أهلِ الأندلس[1].

وقد يذكرون ذلك في سياقِ التراجمِ التي يَضَعونها لشيوخِهم في كتبٍ أفرَدوها، وهو ما عُرِفَ بالمعاجمِ أو المَشْيَخات، فيُثْبِتون في ترجمةِ الواحدِ منهم ما حَمَلوه عنه مِنَ الكتبِ بالسماعِ أو الإجازة، أو غيرِ ذلك

---

(١) وقد عُني المغاربةُ والأندلسيون بها عنايةً بالغةً، لأنَّهم كانوا يَتَلَقَّفون ما يَرِدُ إليهم مِنْ مصنَّفاتِ المشارقةِ ويحرصون على تحمُّلِها كلَّ الحرص، وراجع: «كتب برامج العلماء في الأندلس» لعبد العزيز الأهواني، و«كتب البرامج والفهارس الأندلسية» لهاني العمد، و«فهارس علماء المغرب» لعبد الله المرابط الترغي.

مِنْ طرقِ التَّحَمُّل، وإنْ كان بعضُهم لا يَلْتَزِمُ هذا، فيخلو مُعجَمُه مِنْ ذكرِ الكتب.

والذين رتَّبوا فهارِسَهم أو بَرَامِجَهم على الموضوعاتِ يُفْرِدون بابًا خاصًّا لكتبِ السِّيرِ والمَغَازي؛ لا يخلو واحدٌ منهم مِنْ ذلك، فيَسهُلُ لذلك تتبُّعُها في مصنَّفاتِهم. وإنْ لم يكن الكتابُ مُرتَّبًا على الموضوعات، بل على أسماءِ المشايخِ فيمكن تَلَمُّسُ أسماءِ الكتبِ مِنْ دونِ مشقَّةٍ بواسطةِ الفهارسِ التي وُضِعَت لعامَّةِ ما طُبعَ منها.

ومِنْ بواكيرِ تلك الكتب: «الفِهْرِست» لمحمد بن إسحاق النَّديم[1] (ت ٣٨٠ هـ)، وإنْ جاء كتابُه أقرَبَ إلى عملِ الورَّاقين مِنْ صُنع العلماء المُحَققين، وكَثُرَ فيه الخللُ والتَّكرارُ والوهم، وشاعَت المُبالَغةُ والتَّكَثُّرُ في نسبةِ الكتبِ إلى مُصَنِّفيها، وفي عددِ ما أَلَّفوه، فيكونُ للرجلِ الكتابُ الواحدُ فيُقَطِّعُ النَّديمُ الكتابَ أبوابًا، ويجعلُ كلَّ بابٍ منه كتابًا مُفرَدًا، أو تكون لراويةٍ نسخةٌ فيُثبِتُها كتابًا، إلى غيرِ ذلك مِنَ المآخِذ مما لا يتَّسِعُ المقامُ لذكرِه، على أنَّ في الكتاب من الفوائد ما لا يخفى.

وكذلك الجزءُ الذي جَمَعَه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يونس السَّرَقُسْطيُّ الأندلسيُّ المالكيّ[2] (ت ٤٧٩ هـ) في «تسميةِ ما وَرَدَ

---

(١) وقد طُبع مرارًا، منها نشرة جوستاف فلوجل وأوجست مولر في ليبزج سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، ونشرة رضا تجدد في إيران سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

(٢) ترجَمَ له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٥٠-١٥١) وابن الأبَّار في «التكملة» (١/ ٣٢١) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٤٤٦)، وكان قد رحل=

به الخطيبُ البغداديُّ دمشقَ مِنَ الكتب»[١]، وفيه قائمةٌ بما كان يُتَدَاوَلُ في عصرِ الخطيبِ مِنَ الكتبِ.

ومما بَلَغَنا منها أيضًا: فِهرِس ابن عطية[٢] (ت ٥٤١ هـ)، وفهرست شيوخ القاضي عِيَاض (ت ٥٤٤ هـ) المُسَمَّى «الغُنْيَة»[٣]، وفهرست ابن خير الإشبيليّ[٤] (ت ٥٧٥ هـ)، و«التحبير في المعجم الكبير»[٥] و«معجم الشيوخ»[٦] كلاهما لأبي سعد السَّمْعانيّ (ت ٥٦٢ هـ)، و«مُعجم السَّفَر» لأبي طاهر السِّلَفيّ[٧] (ت ٥٧٦ هـ)، وثَبَت مسموعات أبي موسى المَقْدِسيّ[٨] (ت ٦٢٩ هـ)، وثَبَت مسموعات الضياء

= إلى دمشق وسمع بها، فاجتمعَ له السماعُ مِنَ ابن عبد البر بالمغرب والخطيبِ البغداديِّ بالمشرق، وهذه خصّيصةٌ عظيمة. ولم يعرف الرجلَ أحدٌ ممن ذكرَ هذا الجزء.

(١) منه نسخةٌ ضمن مجموعٍ في الظاهرية بدمشق برقم (١٨) الورقات ١٢٦-١٣٢ كُتبت في أواخرِ حياة الخطيب، وطُبع ضمن كتاب «الخطيب البغدادي وأثره في علومِ الحديث» لمحمود الطحان.

(٢) طُبع بتحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي في بيروت سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٣) طُبع بتحقيق محمد عبد الكريم في طرابلس الغرب سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، وبتحقيق ماهر زهير جرار في بيروت سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٤) طُبع في سَرَقُسْطَة بالأندلس سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م بتحقيق المستشرقَين فرانسيسكو كوديرا (ت ١٩١٧م) وخوليان ريبيرا (ت ١٩٣٤م)، وصُوِّرَ مرَّات.

(٥) طُبع بتحقيق منيرة ناجي سالم في بغداد سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٦) طُبع المُنتخَب منه في الرياض سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م بتحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر.

(٧) طُبع طبعةً رديئةً بتحقيق شير محمد زمان في باكستان سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٨) منه نسخةٌ خطيةٌ في الظاهرية، مجموع (٩٢/ ١٠) ق ١٣٨-١٧٦ .

المقدسيّ[١] (ت ٦٤٣ هـ)، وبرنامج أبي الحسن الرُّعَينيّ[٢] (ت ٦٦٦ هـ)، وبرنامَج ابن أبي الربيع الغِرْناطيّ[٣] (ت ٦٨٨ هـ)، وفهرست أحمد بن يوسف اللِّبْليّ[٤] (ت ٦٩١ هـ)، وبرنامج القاسم بن يوسف التَّجِيبيّ[٥] (ت ٧٣٠ هـ)، وثَبَت مَسموعات ابن البِرْزاليّ[٦] (ت ٧٣٩ هـ)، و«المعجم الكبير» للذهبيّ[٧] (ت ٧٤٨ هـ)، وبرنامج محمد بن جابر الوَادِيَاشي[٨] (ت ٧٤٩ هـ)، و«معجم الشيوخ» للصلاح العَلائيّ[٩] (ت ٧٦١ هـ)، و«المعجم المُفَهْرس»[١٠] و«المَجْمَع المُؤَسَّس»[١١] كلاهما لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، و بَرنامج أبي عبد الله محمد بن محمد المجاريِّ الأندلسيّ[١٢] (ت ٨٦٢ هـ)، و«مُعْجَم الشيوخ» لنجم

---

(١) طُبع بتحقيق محمد مطيع الحافظ في بيروت سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) طُبع بتحقيق إبراهيم شبُّوح في دمشق سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

(٣) طُبع بتحقيق عبد العزيز الأهواني في المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

(٤) طُبع بتحقيق ياسين يوسف عياش وعواد أبو زينة في بيروت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥) طُبع بتحقيق عبد الحفيظ منصور في طرابلس الغرب سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٦) منه نسخةٌ خطيةٌ في الظاهرية، مجموع (١١٥/ ١٢) ق ١٤٩-١٥٠ .

(٧) طُبع بتحقيق محمد الحبيب الهيلة في بيروت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٨) طُبع بتحقيق محمد محفوظ في بيروت سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٩) طُبع بتحقيق مرزوق الزهراني في المدينة النبوية سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، وهي نشْرَة حافلة بالخطأ والتحصيف.

(١٠) ويُسمَّى أيضًا: «تجريد الأسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة»، وقد طُبع بتحقيق محمد شكور الميادين في بيروت سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م.

(١١) طُبع بتحقيق يوسف المرعشلي في بيروت سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، وصنع له فهارسَ وافية.

(١٢) طُبع بتحقيق محمد أبو الأجفان في بيروت سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الدين بن فَهْد[١] (ت ٨٨٥ هـ)، وفهرست أبي عبد الله محمد بن قاسم الأنصاريّ الرَّصَّاع[٢] (ت ٨٩٤ هـ)، وفهرست ابن غازي، المُسمَّى «التَّعَلُّل برسومِ الإسناد بعد انتقالِ أهلِ المَنزلِ والنَّاد»[٣] (ت ٩١٩ هـ)، وثَبَت أبي جعفر أحمد بن علي البَلَويِّ الوادِياشيّ[٤] (ت ٩٣٨ هـ)، و«مُنتَخَب الأسانيد في وَصْلِ المُصَنَّفات والأجزاءِ والمسانيد» للشمس البابِليّ[٥] (ت ١٠٧٧ هـ)، و«صِلَة الخَلَف بموصولِ السَّلَف» للرُّوْدانيّ[٦] (ت ١٠٩٤ هـ)، و«فهرس الفهارس» للكِتَّانيّ[٧] (ت ١٣٨١ هـ).

وكان بعضُ المُصَنِّفين في السِّيَرِ والتواريخ يذكرون ثَبَتًا بموارِدهم في تصانيفِهم، ويكون ذلك في أوَّلِ الكتابِ أو في آخِرِه. ويكون ذلك مُفيدًا في معرفةِ الكتبِ التي كانت موجودةً مُتَداوَلَةً في بُلدانِهم أو في أعصارِهم.

وممن صنعَ هذا ابنُ عبد البَرِّ (ت ٤٦٣ هـ) في مقدمة «الاستيعاب»، وابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في طليعةِ «أُسْد الغابة»، وابن سيِّد الناس (ت

---

(١) طُبع بتحقيق محمد الزاهي ومراجعة حمد الجاسر في الرياض سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) طُبع بتحقيق محمد العنابي في تونس سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(٣) طُبع بتحقيق محمد الزاهي في الدار البيضاء بالمغرب سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٤) طُبع بتحقيق عبد الله العمراني في بيروت سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥) طُبع بتحقيق محمد بن ناصر العجمي في بيروت سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٦) طُبع بتحقيق محمد حجي في بيروت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وكان قد طبعه قبلها على أجزاء في مجلة معهد المخطوطات العربية.

(٧) طُبع قديمًا في فاس، ثم بتحقيق إحسان عباس في بيروت سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.